

د. زغلول راغب النجار



هذه الآيات القرآنية الكريمة جاءت في مطلع سورة الروم ، وهي سورة مكية يدور محورها الرئيسي حول قضية العقيدة .

شأنها في ذلك شأن كل القرآن المكي . ومن قضايا العقيدة الأساسية الإيمان بوحداية الخالق (سبحانه وتعالى) ، وبوحدة
سأله ، ووحدة الخلق ، والإيمان بالآخرة وأهوالها ، ومنها هول المبعث ، وهول الحساب ، وهول الميزان ، وهول المصراط ،
وحتمية الجزاء ، وحتمية الخلود في الحياة المقادمة إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً .! وقد ابتدأت السورة الكريمة بالمتنبؤ بحدث
غيبى قبل وقوعه بعدة سنوات أماً وهو انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم أمامهم قبل نزول هذه السورة المباركة بعدة سنوات .
وتزخر السورة بالأمر بتسبيح الله ، وتنزيهه وحمده ، وبالاستشهاد بعدد كبير من الآيات الكونية الدالة على طلاقته قدرته وشمول
علمه ، وعدل قضائه .! وتنصح السورة النبي والرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم) ، بأن يقيم وجهه لدين الإسلام الحنيف ،
الذي لا يرتضي ربنا (تبارك وتعالى) من عباده ديناً سواه ، لأنه دين الفطرة التي فطر الله (تعالى) ، للناس عليها ، والتي لا تبديل
لها ، وإن كان أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، وتأمّر المسلمين بالإنابة إلى الله وتقواه ، كما تأمّروهم بإقام الصلاة ، وبالحذر من
الوقوع في دنس الشرك بالله ، لأن الذين أشركوا قد فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً عديدة حسب أهوائهم ، وكل حزب منهم فرع بما
لديه .! .! .!

شيء من التقلب في طبائع النفس البشرية ، والذي لا تستقيم معه الحياة السوية ، مثل اللجوء إلى الله تعالى في الشدة ، والإعراض
في الرخاء ، والإيمان به (تعالى) في لحظات الضيق ، والشرك أو الكفر به (تعالى) ، وبما أنزل في لحظات السعة والرحمة ،
وتضرب السورة مثلاً للناس من حياتهم على سخافة فكرة الشرك بالله إذا ناقشها العقل بشيء من الموضوعية والحيطة . ومن مكارم
الأخلاق التي تدعو إليها السورة الكريمة : الأمر بإخراج الزكاة وإيتاء ذي القربى ، والمساكين وأبناء السبيل ، والمنهي عن أكل الربا ،
علي أن ينطلق ذلك كله من الإيمان بأن الله (تعالى) ، هو الخالق ، الرزاق ، المحيي ، المميت ، وتربط السورة بين ظهور الفساد
في البر والبحر وبين أعمال الناس وما كسبت أيديهم ، وتأمّر بالسير في الأرض لاستخلاص العبر من سير الأولين ، ومصائر
الظالمين .

ثانية لخاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، ضرورة الاستقامة على الدين القيم من قبل أن تأتي الآخرة فيصعد بها كل
الخلائق ثم يجزي كل بعمله . ومن الآيات الكونية التي استشهدت بها سورة الروم على طلاقته المقدرة الإلهية . خلق السموات
والأرض ، وخلق الأحياء ، وخلق الإنسان ، كل ذلك في زوجية تشهد للخالق وحده (سبحانه) ، بالوحدانية المطلقة فوق جميع
خلقه ، ومنها اختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وإعطاء الإنسان الاستطاعة على النوم بالليل أو في النهار ، وعلي ابتغاء فضل الله ،
ومن آياته الرعد والبرق ، وإنزال المطر ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وقيام السموات والأرض بأمره ، وخضوع كل من فيها أو
عليها بأمره ، وبعث الموتى بأمره ، وأنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض .

ومن آياته إرسال الرياح برحمة منه وفضل ، وجري الفلك بأمره ، وإثارة السحاب ، وما يستتبعه من أحداث بأمره ، ومرور كل
حي بمراحل من الضعف ، ثم القوة ، ثم المضعف والوفاة ، ومن آياته أنه يحيي الموتى وأنه علي كل شيء قدير .! وتذكر السورة
خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، بشيء من قصص من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، وما أصاب أقوامهم من انتقام
من الظالمين ، ونصر للمؤمنين ، كما تذكره (صلوات الله وسلامه عليه) ، بأن ما عليه إله المبلغ .

وتختتم السورة الكريمة مرة أخرى بالحديث عن المبعث وأهواله ، وعن مصير أهل الكفر والشرك والضلال في هذا اليوم العصيب ،
ومصير أهل الإيمان والتقوى ، وتكرر الإشارة إلى شيء من طبائع النفس البشرية ، وقد ضربت لها آيات القرآن الكريم من كل مثل ،
ولكن الذين كفروا لا يؤمنون ، فالله (تعالى) ، قد طبع على قلوب الذين لا يعلمون . وتنتهي السورة بتثبيت خاتم الأنبياء
والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، بوصية من الله (تعالى) ، له بالصبر على استخفاف الكفار والمشركين بدعوته ، والباطمئنان
بأن وعد الله حق ، وهو واقع لا محالة .! .!

والآيات الكونية الواردة في سورة الروم تحتاج إلى مجلدات لتفصيل دلالاتها ، ولإظهار جوانب الإعجاز العلمي فيها ، ولكنني
سأقتصر في هذا المقال على الإشارة القرآنية إلى الموقع الذي هزمت فيه جيوش الروم على أيدي جيوش الفرس بالتعبير : أدنى

الأرض . وقبل المدخول في ذلك لابد من عرض الدلالة اللغوية لهذا التعبير ولأقوال المفسرين فيه .

أدنى الأرض في اللغة العربية:

في اللغة (دنا) (يدنو) (دنوا) بمعنى قرب بالذات أو بالحكم . ويستعمل في المكان . والمزمان . والمنزلة . كما يعدي ني (يدني) (أدنا) (أدنا) ويقال (دانيت) (دانيت) أو (أدنت) (أدنت) بين الأمرين أي قاربت بينهما . حتى صارت بينهما (دناوة) (دناوة) أي . (الدني) (المقريب) . و (الدني) (بمعني الدون) . الخسيس . وقد (دنا) (يدنا) . وفيهما (دناوة) . ويقال (دنو) . بمعنى انحط . و (الدنيئة) هي النقيصة . قال (تعالى) :
 ومن النخل من طلعها قنوان دانية
 (الأنعام: 99) .

وقال (سبحانه) :
 (ثم دنا فتدلي . فكان قاب قوسين أو أدنى)
 (النجم: 98) . وفي الحديث الشريف : (إذا أكلتم فادنوا أي كلوا مما يليكم . ويعبر بـ (الأدنى) (تارة عن الأقرب فيقابل بالأبعد) أو الأقصى) (من مثل قوله (تعالى) :
 إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
 (الأنفال: 42) .

وتارة ثانية يعبر بها عن الأخفض (أو الأحقر) فيقابل بالأعلي (أو الأعز) . وذلك من مثل قوله (تعالى) :
 يدنين عليهم من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرضن فلا يؤذنين
 (الأحزاب: 59) .

وتارة ثالثة تأتي بمعنى الأقل في مقابل الأكثر . من مثل قوله (تعالى) :
 ... ولما أدنى من ذلك ولما أكثر إلما هو معهم ...
 (المجادلة: 7) وتارة رابعة يعبر بها عن الأذلل فيقابل بالذي هو خير . وذلك من مثل قوله (تعالى) :
 ... قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ...
 (البقرة: 61) .

وتارة خامسة يعبر بها عن الأولي (الدنيا) في مقابلة الآخرة وذلك من مثل قوله (تعالى) :
 ... منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة
 (آل عمران: 152)

بيت (الدنيا) بهذا الاسم لدنوها . والجمع (الدنا) . وأصله الدنو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين . والنسبة إليها (دنياي) . ودني . ويقال (دنتي) فلان أي (دنا) قليلا قليلا . و (دنتي) (المستوي بمعنى هبط) . و (دناوا) أي (دنا) بعضهم من بعض .

شروح المفسرين:

في تفسير قوله تعلقي . غلبت الروم . في أدنى الأرض . وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (الروم: 1-5) . ذكر بن كثير (يرحمه الله) قول بن عباس (رضي الله عنهما) حيث قال : كان المشركون يحبون أن تظهر فارس علي الروم لأنهم

أصحاب أوثان ، وكان المسلمون يحيون أن تظهر الروم علي فارس ، لأنهم كانوا من أهل الكتاب ، فذكر ذلك لأبي بكر (رضي الله عنه) ، فذكره أبو بكر لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : أما إنهم سيغلبون ، فذكره أبو بكر للمشركين ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجل خمس سنين ، فلم يظهرها ، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، فقال : ألا جعلتها إلي دون العشر؟ ، ثم ظهرت الروم بعد ، قال فذلك قوله تعالي :
 ا ألم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .

وأضاف بن كثير عدة روايات أخري للحديث عن كل من مسروق ، وابن مسعود ، وعكرمة (رضي الله عنهم أجمعين) ، في المعني نفسه ، وزاد قوله وأما الروم فهم من سلالة المعيص بن إسحاق بن إبراهيم ، ويقال لهم بنو الأضر ، وكانوا علي دين الميوان ، والميوان من سلالة ياضث بن زوح أبناء عم المترك ، وكانوا يعيدون الكواكب السيارة ، وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها ، فكان الروم علي دينهم إلي بعد مبعث المسيح (عليه السلام) ، بنحو من ثلاثمائة سنة ، وكان من ملك منهم المشام مع الجزيرة يقال له (قيصر) ، فكان أول من دخل في دين النصاري من الروم (قسطنطين) ، وأمه مريم الهيلانية من أرض حران وكانت قد تنصرت قبله فدعته إلي دينها ... واستمروا علي النصرانية ، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتي كان آخرهم (هرقل) ... فتناوأه كسري ملك فرس ، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر ، وكانوا مجوسا يعيدون النار ، فتقدم عن عكرمة (رضي الله عنه) ، أنه قال : بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والمشهور أن كسري غزاه بنضسه في بلاده فقهره ، وكسره وقصره حتي لم يبق معه سوي مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتي ضاقت عليه ، ولم يقدر كسري علي فتح البلدة ، ولما أمكنه ذلك لحصانيتها ، لأن نصفها من ناحية المبر ، ونصفها الآخر من ناحية البحر ، فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هناك ، ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع ، فإن الموضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلي التسع .

وذكر صاحبنا تفسير الجلالين (يرحمهما الله) كلاهما موجزا في المعني نفسه ، وأضافا تعليقا علي التعبير القرآني (في أدنى أرض) أن المقصود به : أقرب أرض الروم إلي فارس بالجزيرة ، المتقي فيها الجيشان ، والبادي بالغزو ، هم (الفرس) ، وجاء في الظلال (رحم الله كاتبها رحمة واسعة) ، ما نصه :

ثم جاءت النبوءة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين وأضاف رواية عبدالملة بن مسعود (رضي الله عنه) ، مؤكدا أن هذا الحادث قد وردت فيه روايات كثيرة ، تتفق كلها في المعني والدلالة ، وتختلف في الألفاظ وطرائق التعبير ، وجمع المكاتب (رحمه الله) ، من هذه الآيات القرآنية الكريمة عددا من الإيحاءات منها : المترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان ، ومنها الثقة المطلقة في وعد الله كما تبدو في قوله أبي بكر (رضي الله عنه) ، في غير تلعنم ولما تردد ، والمشركون يعجبون من قول صاحبه ، فما يزيد علي أن يقول : صدق ، ويراهنونه فيراهن وهو واثق ، ثم يتحقق وعد الله ، في الأجل الذي حدده ، في بضع سنين ...

والإيحاء الثالث وهو المسارعة برد الأمر كله لله ، في هذا الحادث وفي سواه ، وتقدير هذه الحقيقة الكلية ، لتكون ميزان الموقف ، وميزان كل موقف ، فالنصر والهزيمة ، وظهور الدول ودثورها ، وقوتها وضعفها ، شأنه شأن سائر ما يقع في هذا الكون من أحداث ومن أحوال ، مرده كله إلي الله ... وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن ما نصه : احتربت الفرس والروم فيما بين أذربعات وبصري من أرض الروم يومئذ ، وهما أقرب أراضيها بالنسبة إلي مكة ، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بست ، فظهر الفرس علي الروم ، فلما بلغ الخبر مكة شق علي المؤمنين ، لأن الفرس مجوس لا يدينون بكتاب ، والروم أهل كتاب ، وفرح المشركون وقالوا : أنتم والمنصاري أهل كتاب ، ونحن والفرس أميون ، وقد ظهر إخواننا علي إخوانكم ، ولنظهرن نحن عليكم ، فنزلت الآية وفيها : أن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين ، والموضع : ما بين الثلاث إلي التسع و (غلبهم) ، كونهم مغلوبين .

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم ما نصه : غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب ، وهي أطراف المشام ، وهم بعد انهزمهم سيغلبون الفرس ، قبل أن تمضي تسع سنوات ، وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس ، وقالوا للمسلمين : سنغلبكم كما غلبت فارس الروم المتي هي من أهل الكتاب ، وقد حقق الله وعده فانتصر الروم علي فارس في الأجل الذي سماه ، فكان ذلك آية بينة علي صدق محمد (صلي الله عليه وسلم) ، في دعواه وصحة ما جاء به ... وجاء في الهامش التعليق التالي : في هذه الآيات المشريفة إشارة إلي حدثين : كان أولهما قد وقع بالفعل ، وأما الثاني فلم يكن قد وقع بعد ، وهو إخبار عن الغيب ، وحدد لوقوعه

بضع سنين فيما بين الثلاث والتسع .

وتفصيل المحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام علي أيام خسرو أبرويز أو خسرو الثاني عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسري . وهيراكليوس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل ؛ ففي عام 614 م استولى الفرس علي أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية . ثم علي دمشق . وحاصروا مدينة بيت المقدس إلي أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم . وتفصيل المحدث الثاني أن هرقل قيصر الروم الذي مني جيشه بالمهزيمة لم يفقد الأمل في النصر . ولهذا أخذ يعد نفسه لمعركة تمحو عار المهزيمة . حتي إذا كان عام 622 م الميلادي أي العام الهجري الأول . أرغم الفرس علي خوض معركة علي أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم . وهذا النصر كان فاتحة انتصارات الروم علي الفرس . فتحققت بشري القرآن

وثمة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كان مبعث فرج المسلمين وهو انتصارهم علي مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة 17 رمضان من العام الثاني الهجري (أي سنة 624 م . وجاء في صفوة المتفاسير ما نصه : ...

(غلبت الروم في أدنى الأرض)

أي هزم جيش الروم في أقرب أرضهم إلي فارس)

(وهم من بعد غلبهم سيغلبون)

أي وهم من بعد انهزامهم وغلبة فارس لهم سيغلبون الفرس . وينتصرون عليهم

(في بضع سنين)

أي في فترة لا تتجاوز بضعة أعوام ؛ والبضع ما بين الثلاث والتسع

وأشار صاحب صفوة المتفاسير (جزاه الله خيرا) إلي أقوال المفسرين السابقين وعلق علي قوله (تعالى) :

وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين

ما نصه : وقد المتقي الجيشان في السنة السابعة من الحرب . وغلبت الروم فارس وهزمتهم . وفرح المسلمون بذلك ؛ قال أبو

السعود : وهذه الآيات من البينات المباهرة . والشاهدة بصحة النبوة . وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر عن الغيب الذي لا

يعلمه إلا الله العليم الخبير . ووقع كما أخبر . وقال البيضاوي : والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب . وأضاف صاحب

صفوة المتفاسير في شرح قول الحق (تبارك وتعالى) :

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

ما نصه : وقد صادف ذلك اليوم يوم غزوة بدر ؛ قال ابن عباس : كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان . وعبدة النيران

ويوم بدر وقع في السنة الثانية من الهجرة (الموافق سنة 624 م) . وعلي ذلك فإن هزيمة الروم علي أيدي الفرس لابد وأنها كانت قد

وقعت في حدود سنة 614 م إلي 615 م . وجاء في أطلس تاريخ الإسلام (علي واضعه رحمة الله) ما نصه : ...

عند عرش الروم سنة 610 م (وهي سنة البعثة المحمدية) . كان الفرس قد اجتاحوا بلاد الشام ومصر وهزموا البيزنطيين سنة 613 م عند

نطاكية . واستولوا علي فلسطين والقدس سنة 614 م . وغزوا مصر ودخلوا الإسكندرية سنة 618 م أو 619 م . وبعد أن أقام هرقل

دولته بدأ قتال الفرس سنة 622 م . وفي سنة 627 م أنزل بهم هزيمة قاصمة قرب نينوي . واسترد منهم أراضي الدولة البيزنطية في

أرمينيا والشام وفلسطين ومصر . وفي سنة 630 م استعاد بيت المقدس .

ومن استقراء كل هذه التواريخ السابقة يتضح أن هزيمة الروم الحقيقية علي أيدي جيوش الفرس كانت في حدود سنة 614 م

إلي 615 م . وأن استعادتهم النصر علي الفرس كانت في حدود سنة 624 م . واستمر تقدم الروم علي أرض الفرس حتي تم لهم

استعادة بيت المقدس . وواضح من شروح المفسرين أن المقصود بالتعبير القرآني في أدنى الأرض الذي يصف أرض المعركة التي

تمت فيها هزيمة الروم أمام جحافل جيش الفرس هو أقرب الأرض إلي مكة المكرمة أو إلي الجزيرة العربية أو إلي أرض الفرس .

ولكن الدراسات الحديثة تؤكد أن منطقة حوض البحر الميت . بالإضافة إلي كونها أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلونها إلي

الجزيرة العربية هي أيضا أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً . حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلي حوالي الأربعمائة متر تحت

متوسط مستوي سطح البحر . وان هذه المنطقة كانت من مناطق الصراع بين إمبراطوريتي الفرس والروم . وأن المعركة الحاسمة

التي أظهرت جيوش الفرس علي جيوش إمبراطورية روما الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) لابد وأنها وقعت في حوض

البحر الميت . وان الوصف بـ أدنى الأرض هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربية . يعني أيضا أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً .

وهذه الإشارة القرآنية العابرة تعتبر من السبق العلمي في كتاب الله . لأن أحدا لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن

المكريم . ولما لقروا متطاولا من بعده .

آدْنَى الْأَرْضِ فِي الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ:

ثبت علمياً بقياسات عديدة ان أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا هو غور البحر الميت ، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضا ، حيث يصل مستوي منسوب سطحه إلى حوالي أربعمئة متر تحت مستوي سطح البحر ، ويصل منسوب قاعه في أعماق أجزاءه إلى قرابة المئتانمئة متر تحت مستوي سطح البحر ، وهو بحيرة داخلية بمعنى ان قاعها يعتبر في الحقيقة جزءاً من اليابسة ، وغور البحر الميت هو جزء من خسف أرضي عظيم يمتد من منطقة البحيرات في شرقي إفريقيا إلى بحيرة طبريا ، فالحدود الجنوبية لتركيا ، مروراً بالبحر الأحمر ، وخليج العقبة ، ويرتبط بالخسف العميق في قاع كل من المحيط الهندي ، وبحر العرب وخليج عدن ، ويبلغ طول أغوار وادي عربية - البحر الميت - الأردن حوالي المئتان كيلومتر ، ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال ، ويتراوح عرضها بين العشرة والعشرين كيلومتراً .

ويعتبر منسوب سطح الأرض فيها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا حيث يصل منسوب سطح الماء في البحر الميت إلى 402 متراً تحت المستوي المتوسط لمنسوب المياه في البحرين المجاورين : الأحمر والأبيض المتوسط ، وهو أخفض منسوب أرضي علي سطح اليابسة كما يتضح من الأرقام التالية : منسوب سطح الأرض في وادي عربية = 355 - 400 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب أعماق نقاط قاع البحر الميت = 794 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب سطح الماء في البحر الميت = 402 م تحت مستوي سطح البحر .

مستوي سطح الأرض في غور الأردن = 212 - 400 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب سطح الماء في بحيرة طبريا = 209 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب قاع بحيرة طبريا = 252 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب سطح الأرض في قاع منخفض القطارة في شمال صحراء مصر الغربية = 133 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب سطح الأرض في قاع وادي الموت ، كاليفورنيا = 86 م تحت مستوي سطح البحر .

منسوب سطح الأرض في قاع منخفض الفيوم ، مصر = 45 م تحت مستوي سطح البحر .

ويتراوح عمق الماء في الحوض الجنوبي من البحر الميت بين الستة والعشرة أمتار ، وهو بذلك في طريقه إلى الجفاف ، ويعتقد انه كان جافاً إلى عهد غير بعيد من تاريخه ، وكان عامراً بالسكان ، وأن منطقة الأغوار كلها من وادي عربية في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال كانت كذلك عامرة بالسكان منذ القدم حيث عرف البحر الميت في الكتابات التاريخية القديمة ، ووصف بأسماء عديدة من مثل بحرسدوم بحيرة لوط بحيرة زغر ، البحر المنتن ، بحر عربية ، بحر الأسفلت والبحر الميت ، وذلك لأن المنطقة اشتهرت بخصوبة تربتها ، ووفرة مياهها فعمرتها القبائل العربية منذ القدم ، واندفعت إليها من كل من العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام ومنهم قوم لوط ، عليه السلام ، الذين عمروا خمس مدن في أرض الحوض الجنوبي من البحر الميت هي : سدوم ، وعمورة ، وأدما ، وصوبييم ، وزغر ، وقد ازدهرت فيها الحياة إلى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد ودمرت بالكامل في عقاب إلهي أنزل بها وجاء خبر عقابها في القرآن الكريم بقول الحق (تبارك وتعالى) : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود) (هود : 82) .

والأرض في حوض البحر الميت - بصفة عامة - وفي الجزء الجنوبي منه بصفة خاصة والتي تعرف باسم الأرض المقلوبة تتميز بالحرارة الشديدة ، وبتفجر كل من العيون المائية ، والأبخرة الكبرى الحارة فيها ، وبتناثر كتل الأسفلت التي كثيراً ما كانت تطفو على سطح مياه البحر الميت إلى عهد غير بعيد ، وقري قوم لوط التي كانت تشغل أرض الحوض الجنوبي من البحر الميت ، والتي دمرت بالكامل بأمر من ربنا (تبارك وتعالى) ، لا علاقة لها بالحركات الأرضية التي شكلت تلك الأغوار من قبل

حوالي 25 مليون سنة مضت ، ولكن بعد تدميرها بالعقاب الملهي دخلت المنطقة برحمة من الله (تعالي) في دورة مطيرة غسلت مياهها ذنوب الآثمين من قوم لوط ، وغمرت منطقة قراهم لتحولها إلى الحوض الجنوبي من البحر الميت ، والذي يتجه اليوم إلى الجفاف مرة أخرى ليصير أرضا يابسة .

وخلصة القول إن منطقة أغوار وادي عربية - البحر الميت - الأردن تحوي أخفض أجزاء اليابسة علي الإطلاق ، والمنطقة كانت محتلة من قبل الروم المبيزنطيين في عصر البعثة النبوية الخاتمة ، وكانت هذه الامبراطورية الرومانية يقابلها ويحدها من المشرق الامبراطورية الفارسية الساسانية ، وكان الصراع بين هاتين الامبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن علي أشده ، ولابد ان كثيرا من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار ، وهي أخفض أجزاء اليابسة علي الإطلاق ، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة الفاصلة التي تغلب فيها الفرس علي الروم - في أول الأمر - أدني الأرض - وصف معجز للغاية لأن أحدا من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن الوحي ، ولما لقرون متطاولة من بعده ، وورودها بهذا الموضوع في مطلع سورة الروم يضيف بعدا آخر الي المعجز التنبؤي في الآيات الأربع التي استهلكت بها تلك السورة المباركة ألا وهو المعجز العلمي فبالإضافة إلي ما جاء بتلك الآيات من اعجاز تنبؤي شمل الأخبار بالغيب ، وحدد لوقوعه بضع سنين ، فوقع كما وصفته وكما حددت له زمنه تلك الآيات فكانت من دلائل النبوة ، فإن وصف أرض المعركة بالتعبير القرآني أدني الأرض يضيف إعجازا علميا جديدا ، يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق وأن النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي ، ومعلما من قبل خالق السموات والأرض .

وكما كانت هذه الآيات الكريمة من دلائل النبوة في زمن الوحي لإخبارها بالغيب فيتحقق ، فهي لا تزال من دلائل النبوة في زماننا بالتأكيد علي ان المعركة الفاصلة قد تمت في أخفض أجزاء اليابسة علي الإطلاق ، وهي أغوار البحر الميت وما حولها من أغوار ويأتي العلم التجريبي ليؤكد تلك الحقيقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وعلي كتاب التاريخ الذين تأرجحوا في وضع المعركة الفاصلة في هزيمة الروم علي أرض القسطنطينية ، أو علي الأرض بين مدينتي أذرعات وبيصري من أرض الشام ، أو علي أرض أنطاكية ، أو علي أرض دمشق ، أو أرض بيت المقدس ، أو أرض مصر (الاسكندرية) ان يعيدوا النظر في استنتاجاتهم ، لأن القرآن الكريم يقرر ان هزيمة الروم علي أيدي الفرس كانت علي الأرض الواقعة بين شرقي الأردن وفلسطين وهي أغوار وادي عربية - البحر الميت - الأردن التي أثبت العلم انها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا ، والتي ينطبق عليها الموصف القرآني بأدني الارض انطباقا تاما ودقيقا .

وعلي الذين قالوا ان معني أدني الأرض هو أقرب الأرض من بلاد فارس ، أو من بلاد العرب ، أو هي أطراف بلاد الشام ، أو بلاد الشام ، أو انطاكية ، أو دمشق ، أو بيت المقدس أو غيرها أن يعيدوا النظر في ذلك ، لأن حدود الامبراطوريتين كانت متلاحمة مع بعضهما بعضا من جهة ومع بلاد العرب من جهة أخرى ، وعليه فلا يعقل ان يكون المقصود بتعبير أدني الأرض في هذه الآيات الكريمة هو المقرب من بلاد فارس أو بلاد العرب ، فقط ، وان كانت أرض الاغوار هي اقرب الأرض الي بلاد العرب ، بل هي في الحقيقة جزء من أرض شبه الجزيرة العربية . فسبحان الذي انزل هذا التعبير المعجز أدني الأرض ليحدد أرض المعركة ثم ليثبت العلم التجريبي بعد أكثر من اثني عشر قرنا ان الأغوار الفاصلة بين أرض فلسطين المباركة والأردن هي أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا ومن هنا كانت جديرة بالموصف القرآني أدني الأرض ، وجديرة بأن تكون أرض المعركة التي هزم فيها الروم ، وذلك لقول الحق (عز من قائل) : (ألم) غلبت الروم . في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . (الروم : 1 - 5) .